اللغة العربية والتداول الحضاري للغات في ظل العولمة الثقافية

د/ لعبيدي بو عبد الله (*)

الملخص:

إن العولمة – كما يراها كثير من الدارسين – تيار من مدخلات العلم والتكنولوجيا والمعلومات والأنظمة تجتاح العصر الذي نعيشه بهدف ما. ولعل أهم ما في هذه الظاهرة هو التأثير المباشر وغير المباشر على العديد من القضايا الإنسانية والاجتماعية، ومنها اللغات، بما تطرحه من قضايا لسانية وعلمية وثقافية وحضارية عامة. وأبرز ما ينجر عن تأثير العولمة الثقافية الاحتكاك اللغوي، بتناقل المفردات المعاصرة من خلال مختلف الوسائل المعلوماتية. ومن هنا، فالمؤكد أن اللغة العربية تعيش هذه الحالة، فهي من اللغات التي اكتسحها الزحف العولمي، وتأثَّرت به في مختلف مستوياتها اللسانية، وهو تأثر إيجابي؛ لأنه لا ينقص من قيمتها شيئًا، فهو من متطلبات الدورة الحضارية، فهي اللغة التي سادت طيلة قرون من الزمن، بما تمتلكه من قدرات لسانية وإمكانات معرفية، حتى صارت لغة مختلف العلوم والفنون. وفي هذا السياق فإنني أحاول من خلال هذا البحث – بمنهج وصفي تحليلي – أن تناول أهم القضايا المعاصرة المتعلقة باللغة العربية في ظل العولمة الثقافية، وأبرزها: الزحف اللساني، والانتماء، والتعايش اللساني، والبيئة الاصطلاحية، وأخيرًا طرق التطعيم ضد العولمة الثقافية.

الكلمات المفتاحية:

اللغة العربية، التداول الحضاري، العولمة الثقافية، الهوية، التعايش اللساني.

(*) رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية – أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة.

The Arabic language and the cultural exchange of languages

In light of cultural globalization

Abstract:

Globalization –as seen by many scholars– is a stream of inputs from science, technology, information, and systems that sweeps our stick for a purpose. The most important aspect of this phenomenon is the direct and indirect tendency to humanitarian issues; Including languages, with the linguistic, scientific, cultural, and general issues they raise. The most prominent result of the impact of cultural globalization is linguistic friction، by transmitting contemporary vocabulary through various informational tools. and accordingly; It is certain that the Arabic language is living in this state. It is one of the languages in which globalization has affected and been affected by it at its various linguistic levels. It is a positive influence, because it does not detract from its value, as it is one of the requirements of the civilizational cycle. It is the language that has prevailed for centuries, with its linguistic and cognitive capabilities. Until it became the language of various sciences and arts.

In this context, I am trying through this research – with a descriptive and analytical approach – to address the most important contemporary issues related to the Arabic language in light of cultural globalization. The most important of these are: linguistic creep, belonging, linguistic coexistence, the terminological environment, and finally, methods of vaccination against cultural globalization.

Keywords:

Arabic Language; Civilized trading; Cultural Globalization; Identity; Linguistic Coexistence

المقدمة

قد يبدو عنوان البحث فضفاضًا لاحتوائه على مصطلح العولمة الثقافية، فقضاياها متعددة، وأبعادها متنوعة، وموضوعاتها ذات صلة بالجوانب التاريخية والدينية واللسانية والتربوية والعلمية والاجتماعية، وحتى اللسانية. وبين كل تلك الأبعاد عرًى أصيلة لا تضمحل، ووشائج وطيدة تكاد لا تنفصل، خاصة إذا تنزَّل الموضوع في سياق حضاري وابستيمولوجي، ضمن منظومة مفهومية مندرجة ضمن حقل العولمة الذي نحن بصدده.

فهو عنوان إذن يهدف إلى فتح مجال – على ما يبدو لنا – حول أبرز القضايا الحضارية ذات الصلة بوضعية اللغة العربية المعاصرة، وتتمثل برأينا في:

أوَّلًا – العولمة الثقافية والزحف اللساني.

ثانيًا – اللغة العربية والانتماء.

ثالثًا – اللغة العربية والبنية الفكرية.

رابعا – اللغة العربية والتعايش اللساني.

خامسًا– اللغة العربية والبيئة الاصطلاحية.

سادسًا – التطعيم ضد العولمة الثقافية.

فهي قضايا إذن نثيرها للتأمل والتفكر والاعتبار، وإن تطلب الأمر فلاستفزاز الشعور واستنهاض الهمم؛ غيرةً على لغتنا، أحد مقومات هويتنا وشخصيتنا، وكذا لإزالة بعض المخاوف العالقة بأفكار بعضهم، من خلال طمأنة النفوس، وتهدئة روع الناطقين بها، وتقديم جرعات من الأمل والتفاؤل لجميع محبي اللغة العربية والناطقين بها، خاصة في زمن اكتسحت فيه العولمة سائر البنى الفكرية والمشاهد الثقافية والظواهر الاجتماعية، ومنها الظاهرة اللغوية، بوصف اللغة – حسب ما يرى فيخته (J.G Fichte) (١٧٦٢–١٨١٤م) – "رمز وجود الأمة، وبقدر أصالة اللغة والمحافظة على اللغة الأصلية أو فقدانها تكون المجموعة البشرية أمة

وشعبًا أصيلًا أو مجرد أشتات فحسب"[١]؛ إذ وجود أمّة من الأمم بوجود إنِّيَّتها التي هي شخصيتها، وهذه الشخصية تتكون من عناصر ثلاثة: الدين، واللغة، وحب الوطن[٢].

ونتساءل هنا عن الأثر الذي يمكن أن تتركه العولمة الثقافية على اللغات، وعلى اللغة العربية تحديدًا.

أولًا – العولمة الثقافية والزحف اللساني:

لا أرى في البداية داعيًا إلى تقديم تعريفات مصطلح (العولمة) المقابل الذي ارتضاه أهل العلم والفكر والترجمة للمصطلح الأجنبي (Globalization) الذي برز لأول مرة – حسب قاموس إكسفورد (Oxford Dictionnary) – خلال التسعينيات من القرن ١٩[٣]، وتلك التعريفات على كثرتها واختلافها لدى العلماء عربًا وغربًا – كلٌّ حسب تخصصه وتوجهه الفكري والأيديولوجي – تصبُّ في تقلص المجتمع الإنساني – بأنماط ثقافاته المختلفة – إلى قرية كونية صغيرة، تتشابك معرفيًّا بفعل ثورة المعلومات والتطور التكنولوجي الهائل لوسائل الإعلام[٤]، حسب مارشال مكلوهان "H.M. Macluhan" (١٩١١–١٩٨٠م)

(١) اللغة والشخصية في حياة الأمم، مولود قاسم نايت بلقاسم، مجلة الأصالة، العدد: ١٧، نوفمبر ١٩٧٣، (ص ص٤٩–٦٩)، ص٥١.

(٢) المرجع نفسه، ص٥٠.

(٣) دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد، ممدوح محمود منصور، دار الجامعة الجديدة، مصر، ط١، ٢٠٠٣، ص٢٠.

(٤) الداروينية والإنسان، نظرية التطور من العلم إلى العولمة، صلاح عثمان، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط١، ٢٠٠٠، ص١٩١، نقلًا عن: العولمة والمستقبل، سيار الجميل، استراتيجية تفكير، ص٨٠–٨١.

وهو أول من استخدم المصطلح معرفيًّا، وذلك حين صاغ في نهاية الستينيات من القرن ١٩ مفهوم القرية الكونية "Global village".

فالعولمة إذن تسعى إلى "رسملة العالم، وصياغة ثقافة عالمية واحدة، تضمحل إلى جوارها الخصوصيات الثّقافيّة"(١).

وإن كان ولا بد من تعريفها فهي – برأينا –: منظومة فكرية براجماتية تسعى إلى احتواء الآخر لأغراض محددة، والهيمنة على ما لديه من مختلف عناصر الكينونة في علاقات تركيبية (أفقيًّا وعموديًّا)، وهي – في الغالب – تأثير أحادي، بحيث يشكل كل مؤثِّرٍ أساس تلك المنظومة وواضع استراتيجياتها بما يمتلكه من تفوق وتموقع.

وأما عن مظاهر العولمة فهي – كما هو معلوم – متنوعة: فمنها ما له علاقة بالجانب الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي... إلخ. وما يهمنا في هذا الصدد هو الحديث عن العولمة الثقافية، وتحديدًا عن تأثير العولمة في اللغات عمومًا. مع العلم أن الإعلان العالمي بشأن التنوع الثقافي (٢٠٠١م)، وفي خطة عمله المتكونة من ٢٠ نقطة "يقر بأن العولمة والتطور السريع لتقنيات الإعلام والاتصال يشكلان خطرًا على التنوع الثقافي..."(٢)، ويرى بعض الدارسين أن "العولمة اللغوية هي أخطر ألوان العولمة؛ لأنها تعني عولمة ثقافة اللغة الإنجليزية، وسيادتها على ثقافات العالم كلها"(٣).

والتساؤل الذي نطرحه هنا: هل هذه العولمة الثقافية خطر على اللغة العربية؟

---

(١) معجم مصطلحات عصر العولمة، إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، د.م، ص٣٣٤–٣٣٥.

(٢) التنوع الثقافي واللغوي في مجتمع المعلومات، علال الإدريسي (المترجِم)، منشورات منظمة اليونيسكو للقمة العالمية حول مجتمع المعلومات، د.ط، ٢٠٠٥، ص١٠.

(٣) المرجع نفسه، ٤/ ٥٢٧–٥٢٨.

سنجيب عن هذا التساؤل خلال هذا البحث، وقبل ذلك لنتعقب أثر هذه العولمة على اللغات الأجنبية:

ولنأخذ على سبيل المثال اللغات الأوروبية، فإذا كان الاتحاد الأوروبي يستخدم ٢٥ لغة من أصل ٢٨ بلدًا عضوًا، فإن المفكر الإيطالي أومبرتو إيكو (Umberto Eco) (١٩٣٢-.....) لا يتردد في أن يقول: "إن الترجمة هي لغة أوروبا"؛ كون الاتحاد ينفق ما يقارب ٤٠% من موازنته على ترجمة وثائقه وأشغاله، فلا غرابة أن ترتفع أصوات تطالب بتقليص عدد اللغات إلى ثلاث أو أربع لغات هي الإنجليزية والألمانية والفرنسية في حدود العام ٢٠٢٥م.

ولنأخذ كمثال من اللغات الأوروبية اللغة الفرنسية، فإن وضعها يعد "الأكثر تعقيدًا؛ إذ إن اللجنة التي رأسها هرفي بورج (H. Bergue) أصدرت في ٢٠٠٨م تقريرًا مقلقًا لهيئات الفرنكوفونية في العالم، حول وضع لغة موليير، ودعا إلى ما سماه "استعادة الهجوم اللغوي" لمنع الانهيار المتواصل للفرنسية في معاقلها التاريخية. وقدَّم التقرير ١٦ مقترحًا، منها إنشاء تأشيرة موحدة للبلدان الناطقة بالفرنسية، ولكن المفارقة هي استسلام الحكومة الفرنسية في ٢٠١٣ لمطلب الباحثين الفرنسيين بضرورة إدراج الإنجليزية لغةً للبحث العلمي بعد عشرين عامًا من الاقتصار على اللغة الفرنسية وحدها"[١].

وقد صادق البرلمان الفرنسي على ذلك رغم معارضة الأكاديمية الفرنسية لهذا القرار الذي يمكن عده انتحارًا لهذه اللغة في بيتها، فكل اللغات إذن تعاني مزاحمة لغات أخرى!

وترى بعض الدراسات الاستشرافية في هذا الصدد أن المئة سنة القادمة – بعد أن تبلغ العولمة مداها – ستعرف بقاء ثلاث لغات أساسية هي الإنجليزية التي

(١) متابعة (حوار)، عز الدين ميهوبي، صحيفة الشروق اليومي، الجزائر، العدد: ٤٣١٤، ١٣/ ٠٣/ ٢٠١٤، ص١٤.

تقصي اللغات القريبة منها كالإسبانية والفرنسية والبرتغالية والألمانية، واللغة الصينية التي تتطور بسرعة بعد تخليصها من تعقيدات رموزها، واللغة العربية(١).

وليس مستبعدًا أن يحدث هذا الأمر، والسبب – برأيي – يرجع إلى أن تلك الكيانات اللغوية التي ستبقى مختلفةٌ في طبيعة معجمها ونظام كتابتها وخصائصها الصوتية والتركيبية والبلاغية. ولا يعني ذلك أن اللغات الأخرى ستختفي تمامًا، بل قد يتحول كثير منها إلى لغات محلية (لهجات).

"وبالفعل فقد حذرت الأمم المتحدة في اليوم الدولي للغة الأم ٢١ فبراير/ شباط ٢٠٢١م، من تعرض التنوع اللغوي بشكل متزايد للتهديد مع ازدياد اندثار اللغات؛ حيث إن ٤٠% من سكان العالم لا يتعلمون بلغة يتحدثونها أو يفهمونها.

ووفق الإحصائيات الرسمية فإن ما لا يقل عن ٤٣% من اللغات المحكية حاليًّا في العالم والبالغ عددها ٦,٠٠٠ لغة معرَّضة للاندثار. أما اللغات التي تُعطى لها بالفعل أهمية في نظام التعليم فلا يزيد عددها عن بضع مئات، ويقل المستخدم منها في العالم الرقمي عن ١٠٠ لغة"(٢).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الوسائل الإلكترونية قد ساعدت ما يزيد عن ٥٠٠ لغة آيلة للانقراض على الانبعاث من جديد، وفي المقابل مئات اللهجات المحلية التي ارتقت بفضل التطور الإلكتروني إلى مصاف اللغات.

ثانيًا – اللغة العربية والانتماء:

لا أحد ينكر أن اللغة العربية بوصفها لغة قومية لها أبعادها الدينية والثقافية والتاريخية والحضارية، بخصائص علمية ومعرفية، التي أبقت عليها واستقرت في استعمالها للمعاني والألفاظ ذاتها لعدة قرون عن طريق ما حفظته من حضارات

---

(١) ينظر: المرجع نفسه، ص١٤.

(٢) مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان، ضمن:
(https://www.un.org/ar/observances/mother-language-day)

في مختلف مجالات العلوم والفنون، فهي العروة الوثقى، والوحدة الحقيقية التي يحتاج إليها العالم العربي والإسلامي اليوم، فهي من أهم الروابط وأقوى الصِّلات التي تجمع بين المسلمين.

فأهمية اللغة العربية تنبع من أنها الأساس الأول لفهم القرآن الكريم الذي ضمن لها البقاء الدائم والدعم الكامل؛ إذ أخذت تفرض سلطانها على بيئات جديدة في أقطار الأرض، ولم تمض حقب طويلة حتى غدت لغة الشعوب من أواسط آسيا(١)، بل ظلت إلى وقت قريب تكتب بحروف الكتابة العربيّة زهاء أربعين لغة أجنبية.

فأضحى التنافس بين الأقوام والأمم الأجنبية على أشده للظفر بتعلم العربية بعد انتشار الإسلام وعلو شأنه في العالمين، بل تسابقت الألسن إلى إتقانها ونيل رضوانها، ولا غرابة إن قلنا: إن مَن تكلمها أو تملَّك زمامها أضحى آخذًا بزمام التحضر وتقلد أوسمة التمدن، فالانتماء إليها إذن انتماء تاريخي، عقدي، حضاري بشكل عام، وما ذلك إلا لما تميز به أصحابها آنذاك من أصالة في الفكر، ورقي على جميع الأصعدة.

ثالثًا – اللغة العربية والبنية الفكرية:

إن اللغة العربية بخصائصها اللسانية المعروفة هي التي نقلت لنا الكم الكبير من المعرفة والآداب والفلسفة والفنون، وقبل ذلك شعر العرب والكتاب المبين.

ويجدر بنا هنا أن نستعرض ما أوردته المستشرقة الألمانية "زيغريد هونكه" [Sigrid Hunke] (١٩١٣-١٩٩٩م) في كتابها الشهير "شمس العرب تسطع على الغرب"؛ حيث تروي لمواطنيها بأنه "قبل ٦٠٠ عام كان لكلية الطب الباريسية أصغر مكتبة في العالم، لا تحتوي إلا على مؤلف واحد، وهذا المؤلف

(١) في تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، ط١، د.ت، ٢/ ١٧ وما بعدها.

كان لعربي كبير"[١]. مضيفة: "وكان هذا الأثر العظيم ذا قيمة كبيرة، بدليل ملك المسيحية الشهير لويس الحادي عشر [(Louis XI) (١٤٢٣-١٤٨٣م)]، اضطر إلى دفع اثني عشر ماركًا من الفضة ومئة تالر (Taler) من الذهب الخالص لقاء استعارته هذا الكنز الغالي؛ رغبة منه في أن ينسخ له أطباؤه نسخة، يرجعون إليها إذا ما هدد مرض أو داء صحته أو صحة عائلته"[٢].

ولقد اعترف الأوروبيون بقيمة هذه الإنجازات العظيمة "وبفضل صاحبه عليهم وعلى الطب إجمالًا، فأقاموا له نصبًا في باحة القاعة الكبيرة في مدرسة الطب لديهم، وعلقوا صورته وصورة عربي آخر في قاعة أخرى كبيرة تقع في شارع سان جرمان، حتى إذا ما اجتمع فيه اليوم طلاب الطب وقعت أبصارهم عليها، ورجعوا بذاكرتهم للوراء يسترجعون تاريخه... إنه الرازي – أو رازاس (Rhases) كما سمته بلاد الغرب –"[٣].

إن هذا الموقف الذي فرضته اللغة العربية على العالم كان نتيجة هيمنة علمية بالدرجة الأولى، أو لنقل نتيجة اكتساح معرفي وعلمي عظيم ورائع – حسب وصف الكاتبة نفسها –، تقول: "هذه المعارف المبتكرة العظيمة الشأن... هذه التحقيقات العلمية الرائعة التي قدمتها العبقرية العربية هدية منها للإنسانية عامة ولأوروبة خاصة، كالأرقام العربية، وعلم الجبر العربي، والاسطرلابات العربية..."[٤].

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة: مارون عيسى الخوري، دار صادر، ودار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١٠، ٢٠٠٢، ص٢٤٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٤٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٤٣-٢٤٤.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٨٣.

كما تنقل الكاتبة لمواطنيها كيف تمكنت الحضارة العربية ذات المحتوى الخاص والمعالم المتميزة من أن تفرض سيطرتها على شعوب متباينة في مصر وإسبانية والعراق وغيرها. وتصفها بالمعجزة التي تضاف إلى المعجزات التي حققها العرب(١).

وترى بالإضافة إلى ذلك أنّه "كان من الطبيعي أن تصبح اللغة العربية لغة للإدارة والقانون، بل لغة للتجارة والمعاملات وجمهور الناس. ومن ذا الذي يريد أن يخرج عن لغة الجماعة؟ وكيف يستطيع أن يقاوم جمال هذه اللغة، ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة... فلقد اندفع الناس الذين بقوا على دينهم في هذا التيار يتعلمون اللغة العربية بشغف، حتى إن اللغة القبطية مثلًا ماتت تمامًا، بل إن اللغة الآرامية لغة المسيح قد تخلت إلى الأبد عن مركزها لتحتل مكانها لغة محمّد"(٢).

وهكذا فقد تحوّلت في نظرها "لغة قبَليَّة خلال مئة عام إلى لغة عالمية... لقد وجدت اللغة العربية تجاوبًا من الجماعات... فكونت تفكيرهم ومداركهم... فأعطت للأجناس المختلفة في القارات الثلاث وجهًا واحدًا مميزًا"(٣).

إن هذه الشهادة من هذه المستشرقة كافية للتدليل على ما كانت عليه اللغة العربية، وما أسهمت به – برقي ووعي وكفاءة منقطعة النظير – في ترقية الإنسانية جمعاء طواعية ومن دون تمييز.

ومن هنا يحق لنا أن نستنتج أن للغة – أية لغة – دورة تحتل فيها الريادة بحسب ما تفرزه الحضارة من عناصر النماء وتتيحه من إمكانيات الاكتساح، وهو

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٥٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٦٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٦٧-٣٦٨.

ما شهدته اللغة العربية إبان العصور الذهبية وانحطاطها بعد ذلك، وتشهده الإنجليزية في عصرنا.

فالتاريخ يعيد نفسه[١]. يقول العلامة المؤرخ اللغوي ابن منظور (ت ٧١١هـ) الذي رأى ما يصيب اللغة العربية من انحدار وهجران وعزوف أهلها عنها ما دفعه إلى تأليف معجمه؛ حرصًا على هذه اللغة الشريفة التي شرّفها اللّه بالقرآن الكريم: "لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية، وضبط فضلها؛ إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنة النبوية... وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يعد لحنًا مردودًا، وصار النطق بالعربية من المعايب معدودًا، وتنافس الناس في تصانيف التَّرْجُمَانات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير اللغة العربية، فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفتخرون، وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون..."[٢].

وهي الصرخة نفسها التي نسمعها في عصرنا لدى بعض الغيورين عن اللغة العربية، مثل الصيحة التي أرسلها أحد عبد العزيز أحمد الرفاعي (ت ١٩٩٣م) في بداية بحثه المقدم في دورة مجمع اللغة العربية في القاهرة المنعقد في فبراير ١٩٩٢م، عندما قال: "نحن العرب، ماذا بقي لنا لكي نتماسك، ولكي لا نضمحل

---

(١) استخدام طلبة الجامعة اللغة العربية بحروف لاتينية (الانجليزية وغيرها) في أساليب التواصل الحديثة، هاشم صالح مناع، ضمن المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية حول "اللغة العربية في خطر الجميع شركاء في حمايتها"، ٢٠١٣، المجلس الدولي للغة العربية، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ٥/ ٥٣٤.

(٢) – لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤، ١/ ٨.

ونتلاشى ونذهب خبرًا من الأخبار، ونذوب كما ذابت من قبلنا أمم فقدت شخصيتها السياسية"[1]؟!

وهو استنفار يوحي بأن خطرًا ما يهدد اللغة العربية، والحقيقة أن هذا الإنذار أو التحذير الذي أطلقه الكاتب – بكل وعي وصدق – لا يختلف كثيرًا في مضمونه عن صفارة الإنذار التي أطلقها الأجانب، فهذا الألماني فيخته (J.G Fichte) (١٧٦٢-١٨١٤م) يصرخ في مواطنيه محذرًا: "علينا أن ندافع عن ثقافتنا، وأصالتنا ولغتنا؛ حتى نبقى دائمًا ألمانًا؛ ونضمن الخلود لأنفسنا وأبنائنا، وأحفاد أحفادنا إلى أبد الآبدين، ولنبقى من نحن، بجميع مقوماتنا وعناصر كياننا؛ أي نبقى ألمانًا"[2].

وشتَّان بين اللغة العربية واللُّغة الألمانيَّة أو غيرها من اللغات، ولو سلَّمنا جدلًا بمشروعية هذا التخوّف، من حقنا أن نتساءل: ممَّ؟ ولِمَ؟

في الحقيقة إذا تمعَّنا في تاريخ اللغة العربية وفي مزاياها اللسانية والاجتماعية على الخصوص، فإنا ندرك أن لا وجود لصراع لساني بينها وبين بقية اللغات، بل هو مجرد استبدال للأدوار بما يقتضيه التداول الحضاري، وتفرضه ريادة اللغة الفكرية والعلمية من ناحية، والسياسية والاقتصادية والثقافية من ناحية ثانية، وبما تكتسبه كل لغة من عناصر النماء والتجدد والنِّدِّيَّة والمعاصرة.

---

(١) التعريب قبل فوات الأوان، عبد العزيز الرفاعي، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، العدد: ٧٣، ١٩٩٣، (ص ص٦٣-٦٥)، ص٦٣. نقلًا عن: اللغة العربية خارج حدودها، نيقولا دوبرشان، ضمن كتاب: اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٦، (ص ص٩٨-١٣٢)، ص٩٨.

(٢) اللغة والشخصية في حياة الأمم، مولود قاسم، مرجع سابق، ص٥٥.

ومن ثم فإن مكانة اللغة العربية – برأيي – محفوظة؛ لأنها ما زالت تنافس بقية اللغات من أجل بلوغ درجة الإبداع المرتقبة منها، بما تواجهه من تحديات ناجمة عن إفرازات العولمة، ومجابة الدعاية الإعلامية القائمة على التبشير باللغة الإنجليزية على أنها اللغة العالمية التي هي لغة البشر(١).

فالعربيّة كانت وستبقى لغة الشّرق الإسلاميّ من الخليج إلى المحيط الأطلسي واحدةً وموحِّدةً وموحَّدَةً لغة دين وأدب وفكر.

وحسبنا هنا شهادة الفرنسي إرنست رينان (Ernest Renan) (١٨٢٣–١٨٩٢م) حين قال: "من أغرب ما وقع في تاريخ البشر انتشار اللغة العربية، فقد كانت غير معروفة، فبدأت فجأة في غاية الكمال، سَلِسَة، غنية، كاملة، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها"(٢).

ولا أدل على ذلك من إقبال الأجانب على تعلمها والتخصص في دراستها من قبل الناطقين بلغات غيرها.

وبخصوص ما قام به ابن منظور في لمِّ شمل ألفاظ اللغة، فهو – في الواقع – ما تقوم به المؤسسات العلمية اليوم من مشاريع طموحة واعدة في مجال البحث العلمي ومختلف الأنشطة الثقافية والدينية، ويكفي للتدليل على ذلك ما يتم تأليفه من معاجم لغوية، ومنها مشروع المعجم التاريخي للغة العربية الذي يصدره مجمع اللغة العربية بالشارقة بالتنسيق مع اتحاد المجامع اللغوية والعلمية بالقاهرة، وقد صدر منه لغاية هذه السنة (٢٠٢١م) ١٧ مجلَّدًا، وهو مؤشر إيجابي يشي بتجذر

(١) اللغة العربية في عصر العولمة، أحمد بن محمد الصبيب، مكتبة العبيكان، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠١، ص١٦.

(٢) اللغة العربية والتحديات، محمد ناهدة محمود، ضمن فعاليات المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية حول "اللغة العربية في خطر، الجميع شركاء في حمايتها"، المجلس الدولي للغة العربية، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٣، ١/ ٦١١.

هذه اللغة، وحركيتها الدلالية، ومآلها المضمون؛ بوصف المعجم المنزل الأرقى والآمن الذي تأوي إليه مفردات أية لغة.

رابعًا – اللغة العربية والتعايش اللساني:

إن العولمة الثقافية بكل ما لها وما عليها تستوجب نوعًا من التسامح والتعايش بين جميع اللغات، كيف لا وهو السلوك الذي ساد خلال العصور الذهبية للغة العربية، شريطة تفعيل وسيلة الترجمة بمقتضياتها النظرية والتطبيقية، التي تعدُّ – برأينا – الحصن الحصين، والركن الركين الذي تستند إليه أية لغة، وهذا الذي يظهر من خلال قول إمبرتو إيكو السابق.

والترجمة هي عنوان ما به يتحقق التواصل بين أفراد البشرية ويتشكَّل الاتساق والانسجام بين عناصر المجتمعات، تنقل عصارة الفكر والأدب والحضارة من ثقافة إلى ثقافة أخرى، في إطار قيمي سامٍ وبنَّاء، تحدده ضوابط لسانية خاصة وأخرى ابستيمولوجية عامة.

والواقع أن قضية التعايش اللساني من النماذج التي تفخر بها الحضارة العربية والإسلامية، وتحديدًا خلال القرنين الرابع والخامس الهجريّين، اللذين شهدا نشاطًا علميًّا وثقافيًّا متميزًا، بفضل حركة الترجمة إلى اللغات الأجنبية، خاصة من اليونانية والفارسية والهندية إلى العربيَّة. يقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): "وقد نُقِلت كتب الهند، وتُرجِمت حِكم اليونان، وحُوِّلت آداب الفرس، فبعضها ازداد حُسْنًا، وبعضها ما انتقص شيئًا"(١).

وهو مظهر من مظاهر التسامح اللساني في الانفتاح على ما لدى الآخر من زخم معرفي وتراث حضاري، ونضج ملكات العلماء المسلمين في البحث

(١) الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، د.ط، بيروت، د.ت، ١/ ٧٥.

والتأليف والتجريد، وتشجيع الخلفاء والسلاطين في مشارق الأرض ومغاربها. ولم تمنع الاضطرابات السياسية من ازدهار الثقافة وانتشار العلم، بل ربما كانت عاملًا مهمًّا في ذلك، ولا أدل على ذلك من بروز العديد من العلماء في عدة مجالات أذكر منهم:

النيسابوري والدارقطني في الحديث، وأبو علي الفارسي وابن دريد والنحاس وابن فارس وابن جني والزّجاج في النحو واللغة، والمتنبي وابن الحجّاج وابن طباطبا وأبو فراس في الشعر، وابن سريج وإبراهيم المروزي في الفقه، وابن زولاق والشابشتي والطبري في التاريخ، وابن مقلة في الخط، وابن نباتة في الخطابة، والاصطخري والمقدسي والبكري وابن الهيثم والخوارزمي والخازن وابن سينا في الرياضيات والفلك والطبيعة والجغرافيا والطب وسائر العلوم الأخرى، وغيرهم(١).

ومن هؤلاء العلماء يمكن أن نسوق نموذجين:

النموذج الأول: أبو الريحان البيروني (ت ٤٤٠هـ):

الذي سُمِّي عصره باسمه؛ نظرًا لمكانته العلمية والفكرية، فهو من النماذج التي تمثلت مفهوم التسامح اللساني، في حوار فكري وثقافي راقٍ ظهر من خلال ممارساته العلمية، التي نقلتها لنا كتب التاريخ والسير والتراجم، وكذا مؤلفاته العديدة، التي تبلغ ١٨٢ مؤلفًا(٢)، ومنها كتابه "تحقيق ما للهند"، التي أبان فيها –

(١) لمعرفة الابتكار والإبداع العلمي الذي تميز به الأدباء والعلماء في هذا العصر ينظر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع، آدم متز، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، مصر، د.ط، ١٩٩٩، ص٣١٩ وما بعدها.

(٢) – ينظر:

D.j Boilot: L'oeuvre d'al-berouni, essai bibliographique de l'institut Dominican d'études orientales, Le Cair, 1955, p15, 38, 45. 46, 63, 64, 73, 95, 98, 104, 158, 168, 169.

رغم إجلاله للغة العربية ودفاعه الشديد عنها – عن انفتاحه على اللغات الأجنبية واحترامه لها، وخاصة اللغة السنسكريتية (الهندية القديمة).

فقد رافق محمود الغزنوي (ت ٣٨٧هـ) إلى الهند، فعرفها من الداخل، وعرف لغتها السنسكريتية[١]، وعاد إلى الهندي يسأله، وإلى النص يتفحصه ما أمكن، حتى استحق بذلك لقب "رائد الدراسات الهندية".

لقد درس البيروني الخط الهندي والكتابة، وقارن بين السنسكريتية والعربية والفارسية، ونقل المصطلحات الهندية إلى العربية بكل أمانة، ولم تزده مدة بقائه في الهند المقدرة بـ ٤٠ سنة – على نحو ما ذكره المؤرخون – إلا بروزًا في سماء العلم والمحاجَّة، وأعطى خلال هذه الفترة صورةً مشرفةً عن التسامح العقدي والعلمي والثقافي واللساني، وكان بمثابة سفير فوق العادة للعلاقات الثقافية بين الهند والعالم الإسلامي، باعتراف الهنود أنفسهم.

ولم يكن له ذلك إلا بما تميز به من الدقة، والاتجاه نحو الموضوعية في المعرفة والكتابة والنظر، دون تحيز أو تعصب بعيدًا عن الجدل، مع تقديم الوصف النزيه بكل التفاصيل للثقافة الهندية والحياة الاجتماعية، وبذلك استحق الوصف بكونه أكبر عقلية عرفها التاريخ، على حد تعبير إدوارد ساخاو [Idward Sachau] (ت ١٩٣٠)[٢] ناشر كتابه "تحقيق ما للهند".

---

(١) الثابت أن البيروني تكلم اللغتين السنسكريتية والسريانية في إجادة، بل وألف بعض كتبه بهما. ينظر: الموسوعة الإسلامية للعلوم الاجتماعية، صلاح مصطفى الفوال، دار غريب، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٠، ص١٦٨.

(٢) هو كارل إدوارد سخاو (١٨٤٥–١٩٣٠م)، مستشرق ألماني، تعلم العربية في بلاده، وعيّن سنة ١٨٦٩م أستاذًا للغات السامية في جامعة فينا. وفي سنة ١٨٧٦م أستاذًا للغات الشرقية في برلين. ساح في الشام والعراق، ومما نشره بالعربية: "الآثار الباقية عن القرون الخالية"، و"تحقيق ما للهند من مقولة معقولة في الذهن أو مرذولة"، كلاهما للبيروني. وأربع مجلدات من طبقات ابن سعد (وأكمله غيره)، والمعرب للجواليقي.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن البيروني لم يقف من خلال انفتاحه اللساني على اللغة السنسكريتية عند دراسة النواحي العقدية والاجتماعية والثقافية، بل تطرق إلى قضايا لغوية وأدبية ترتبط بالنحو وموسيقى الشعر العربي، وراح يقارن بينهما وبين النحو العربي وعروض الخليل(١).

ولا يهمنا في هذا الصدد عرض تفاصيل هذه المقارنة(٢)، بقدر اهتمامنا بالإشارة إلى أن البيروني استطاع من خلال اطلاعه على ما لدى الهنود من معتقدات وعلوم وفنون وآداب أن ينقل للعالم الإسلامي جانبًا من التلاقح الابستيمولوجي الذي يعد من القضايا التي تنم عن وجود حوار ثقافي وتعايش علمي وتسامح لساني راق، وهو في الوقت نفسه يكشف لنا عن المدى الذي بلغه هذا الاحتكاك الإيجابي بين الحضارة العربية والإسلامية وغيرها من الحضارات عمومًا، والهند على الخصوص في مجال العلوم والآداب واللغات.

واستطاع أيضًا أن يكشف لنا عن الدور الذي أدَّته التراكمات المعرفية المتنوعة في تشييد الحضارة الإنسانية الشاملة(٣)، والمحافظة على العناصر الأساسية التي تقوم عليها الكيانات الثقافية، وإزاحة جميع العوائق الفاصلة التي قد تعرقل سيرورات العلوم التي تنفع البشرية.

---

(١) ينظر: تحقيق ما للهند من مقولة معقولة في الذهن أو مرذولة، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، عالم الكتب، بيروت، د.ط، ١٩٨٣، ص٩٦ وما بعدها.

(٢) – كنّا أشرنا إليها في بحث مستقل بعنوان: حوار الثقافات في العلوم العربية من خلال رحلة أبي الريحان البيروني، علم العروض أنموذجًا، مجلة "حوليات جامعة الجزائر"، العدد: ٢٢، ٢٠١٢، (ص ص١٠٩–١٢٢).

(٣) ينظر: الصراع الحضاري في العالم الإسلامي (مدخل تحليلي في فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي)، شايف عكاشة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط٢، ١٩٨٨، ص٧٣ وما بعدها.

ويمكن القول بأن البيروني كان – بتسامحه اللساني وانفتاحه المعرفي – مجسدًا من الطراز الأول لحوار الحضارات والثقافات، على اعتبار أن مصطلحي "الحضارة" و"الثقافة" شاملان لكل مظاهر الحياة من جهة، ومن جهة أخرى فإن الحوار بهذا المعنى عمل من أجل فهم أعمق ومتطور لهوية كل ثقافة؛ بقصد إبعاد الفهم المولد للكراهية والعداوة التي يكون مصدرها في كثير من الأحيان الجهل بالآخر.

النموذج الثاني: ابن حزم (ت ٤٥٦هـ):

عندما تناول مسألة المفاضلة بين اللّغات البشريّة، "وقد توهّم قوم في لغتهم أنّها أفضل اللّغات. وهذا لا معنى له؛ لأنّ أوجه الفضل معروفة، وإنّما هي بعمل أو اختصاص، ولا عمل للّغة، ولا جاء نصّ في تفضيل لغة على لغة، وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدّخان: ٥٨]، فأخبر تعالى أنّه لم ينزل القرآن بلغة العرب إلاّ ليفهم ذلك قومه – عليه السّلام – لا لغير ذلك. كما أخبر – عزّ وجلّ – أنّه لم يرسل رسولًا إلّا بلسان قومه، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلا خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ ٱلأَوَّلِينَ﴾ [الشّعراء: ١٩٦].

فبكلّ لغة – يضيف ابن حزم – قد نزل كلام اللّه تعالى ووحيه، وقد أنزل التّوراة والإنجيل والزّبور وكلّم موسى – عليه السلام – بالعبرانيّة. وأنزل الصّحف على إبراهيم – عليه السّلام – بالسّريانيّة، فتساوت اللّغات في هذا تساويًا واحدًا. وقد غلط في ذلك "جالينوس" فقال: "إنّ لغة اليونانيّين أفضل اللغات؛ لأنّ سائر اللّغات إنّما هي تشبه إمّا نباح الكلاب أو نقيق الضّفادع"...! وهذا جهل شديد؛

لأنّ كلّ سامع لغة ليست لغته ولا يفهمها فهي عنده في النّصاب الذي ذكر "جالينوس" ولا فرق"[١].

خامسًا – اللغة العربية والبيئة الاصطلاحية:

إن من دواعي العولمة الثقافية تزايد المصطلحات العلمية باللغة الإنجليزية، ومحاولة سيطرتها على الأنظمة المفهومية للغات المتاخمة؛ مما يستلزم تزايد دخول مزيد من المصطلحات والألفاظ الحضارية إلى اللغة العربية. وهذه العملية – بناء على ما سبق – ليست ظاهرة حديثة، ولا هي مشينة في حد ذاتها، فمعلوم أن في اللغة العربية ألفاظًا أعجمية، وقد ألَّف في ذلك الكثير من العلماء قديمًا وحديثًا، وربما تختلف نظرة القدامى عن نظرة المعاصرين، أو بعبارة أدق: نظرة العلميين تختلف عن نظرة اللغويين، وللتّدليل على ذلك نسوق المواقف الآتية:

فمن القدامى نورد قول البيروني (ت ٤٤٠هـ) في مقدّمة كتابه "الصيدنة" بأنه إذا ذكر لهم إيساغوجي، وقاطوغورياس وباري أرميناس وأنولوطيقا، رأيتهم يشمئزّون منه وينظرون نظر المغشيّ عليه من الموت! وحقّ لهم، فالجناية من المترجمين؛ إذ لو نقلت الأسامي إلى العربيّة، فقيل: كتاب المدخل، والمقولات، والعبارة والقياس، والبرهان، لوجدوا متسارعين إلى قبولها غير معرضين عنها.

وقد أثبتنا في دراسة أجريناها على معجم مصطلحات البيولوجيا في علوم الأحياء والزّراعة الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة أنّ نسبة ١٣,٥١% من ألفاظه أعجميّة. وقد يقول قائل: إنّ هذا طبيعي باعتباره معجمًا علميًّا، وهذا شأن هذا الحقل من الأنظمة الاصطلاحيّة التي تتّسم مصطلحاتها بالعالميّة.

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد ابن حزم، مطبعة الإمام، د.ط، مصر، د.ت، ٣٢/١.

وللرّدّ على هذا نقول: إن هذه النسبة تكشف لنا عن أمر هام يتعلق بترتيب طرق صياغة التّسمية حسب الأولوية[1] بتقديم اللفظ الأصيل فالاشتقاق، ثم تأتي بقية الطرق، وهي: النحت والتركيب والاقتراض والمجاز.

ولا بأس هنا من التمثيل باللغة الألمانيّة التي يستعمل أصحابها مصطلحات موغلة في العالميّة بتسميات ألمانية محضة، رغم ما يعتري بعضها من التطويل في المقاطع الصوتية. ولنأخذ على سبيل المثال ستة مصطلحات علمية وهي: هيدروجين (Hydrogène)، وأوكسجين (Oxygen)، وتليفون (Telephone)، وتلفاز (Television)، وجغرافيا (Geography)، وبترول (Petrol)؛ إذ نرى أن الألمان لا يستعملون واحدة من هذه الكلمات، وإنّما يسمّون:

- الهيدروجين "فاسر شتوف" "Wasserstoff"؛ أي: "مادة الماء".
- والأوكسجين "زاور شتوف" "Saverstoff"؛ أي: "مادة حامضة".
- والتّليفون "فرن شبيخر" "Freensprecher"؛ أي: "التكلم البعيد".
- والتّلفاز "فرن زيهن" "Freensehen"؛ أي: "الرؤية البعيدة".
- والجغرافيا "أرد كونده" "Erdkunde"؛ أي: "معرفة الأرض".
- والبترول "أردول" "Erdol"؛ أي: "زيت الأرض"[2].

بالإضافة إلى مصطلح "كمبيوتر" (Computer) الذي مقابله: "Electronishe daten verabeitung" بمعنى "الجهاز الإلكتروني الخاص بمعالجة المعلومات"، وغيرها من المصطلحات.

---

(١) الألفاظ الدخيلة في معجم البيولوجيا في علوم الأحياء والزراعة الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة، لعبيدي بوعبد الله، مجلة الصوتيات، العدد: ١٠، السنة: ٢٠١١، (ص ص٥١-٧٤)، ص٨٧.

(٢) التعريب ووسائل تحقيقه، محمد الفاسي، مجلة الأصالة، العدد: ١٧، ١٨، السنة: ١٩٧٣/ ١٩٧٤، (ص ص١٠٧-١١٨)، ص١١٥.

هذا مع كون لغتهم من فصيلة اللغات الهندية الأوروربية، وهي شقيقة اللغات اللاتينية والانجليزية، فما بالكم باللغات البعيدة عن هذه الفصيلة، كلغات المجر والفنلند والصين واليابان وغيرها!

سادسًا – التّطعيم ضدّ العولمة الثقافية:

إن مصطلح (التطعيم) يشير إلى قبول الجسم الغريب الذي يخالط الجسم، مع التعامل معه بما يمليه العلم والحكمة وخبرة المختصين، وإذا كانت العولمة الثقافية – كما سبقت الإشارة إلى ذلك – حالة صحية عادية، تستوجبها دورة الحضارة الإنسانية، فهي– في أسوأ الأحوال – كالمرض الذي يقوّي مناعة الجسم. وهو في المقابل لا يمنع من ضرورة أخذ جرعات مناسبة من المقويات التي تساعده على التحمل لتجاوز المرض و/ أو التعايش معه، وتقوية آليات الجسم الدفاعية. ولتحقيق هذه الغاية بخصوص اللغة العربية ضمن سياق العولمة الثقافية، يحسن – برأينا – اتباع الحمية الآتية:

١ – دعم ما تشهده الساحة العربية من حركية ثقافية وعلمية مهما كان حجمها وتعزيزها:

فالقليل منها في مجال العلم والمعرفة والثقافة كثير؛ لأنه ينمّي وعي بقيمة الكيان العربي التاريخي والحضاري والجغرافي والاقتصادي والاستراتيجي.

٢ – التكافؤ التكنولوجي والعلمي:

وهو شرط ينضاف إلى ما للأمة العربية العظيمة من إمكانات بشرية وثروات اقتصادية وجذور حضارية، ولا يتأتى ذلك إلا إذا امتلكنا ما لدى الآخر من زخم معرفيّ وثقافة إيجابية، ومناهج موصلة لا تناقض القيم السامية للأمة. فإذا امتلكنا المعرفة تساوت العقول، وعلت الهمم، وأمكن الإبداع الفكري. وإذا امتلكنا الثقافة الحقّة تلاشى الذهول الذي ينتابنا، وأمكن الإنتاج دون عقد مكبّلة، أو هواجس مضلِّلة.

٣ – تعميم استعمال اللغة العربية:

ورغم أننا مللنا من تكرار سماع هذه العبارة والدعوة إليها، إلا أن هذا العنصر يعدُّ أساس التطعيم.

لذلك فإنّ عقد المؤتمرات، وإقامة الندوات، وإثارة الحوار حول قضايا التعريب ومشكلاته ووسائله في جميع المؤسسات العلمية والثقافية يساعد كثيرًا في التغلب على هذه الرواسب التقنية المثبِّطة(١)؛ لأنه ليس للعلم لغة واحدة، ومن هنا كانت الدعوة إلى تعميم الاستعمال دعوة لتوحيد الثقافة وتركيز الجهود العلمية والفكرية في العالم العربي؛ ربحًا للوقت ودعمًا للفاعلية المطلوبة.

٤ – دور المؤسّسات العلميّة والثّقافيّة في الحفاظ على أصالة اللّغة العربيّة وتفاعلها الإيجابيّ:

يمكن في هذا الصّدد الإشارة إلى نقطتين أساسيّتين:

إحداهما: أنّ المؤسّسات العلمية والثقافيّة والتربوية في الوطن العربي – ومنها مجامع اللغة العربية – قد بذلت جهودًا لا تُنْكَر لملاحقة ركب العلم، ويبقى التنسيق بينها من الضروريات الحاسمة، ولا شك أن ذلك سيأتي بنتائج أكبر.

الأخرى: أنّ إثراء اللغة العربيّة بمصطلحات العلم الحديث لا يمثّل إلا جانبًا هامًّا من قضية متعددة الجوانب، ومعقّدة التفاصيل، بل إنّه لا يمثّل كل البحث والعمل المعجمي الذي ما زالت اللغة العربية في حاجة ماسة إليه، واستئثار هذا الجانب بالاهتمام ووضعه في مصافّ الأولويات له مبرّراته الفكرية والعلمية والأيديولوجية التي سبقت الإشارة إليها في ثنايا هذه الورقة.

ولهذا فمن الضروري أن يغطي البحث والتجربة جميع هذه المشكلات، وأن تحاط الجهود المبذولة بالجدّ الفكري والصرامة العلمية، والتنسيق الواعي الذي

---

(١) – ينظر: المرجع نفسه، ص٣٦.

يخرجها من طور المحاولات إلى ميدان البحث المخطّط طويل النَّفَس، ومن الجهود الفردية المتقطّعة إلى العمل الجماعي المنظّم.

الخاتمة

يمكن لنا في الأخير القول بأن موضوع اللغة العربية ووضعها في خضم سياق العولمة الثقافية موضوع شاق وشيق؛ لأنه يتعلق بعدة قضايا، وهي من الأهمية بمكان، والمؤكد أنه يلامس قضايا لسانية واجتماعية وفكرية أكثر تجريدًا مما قدمناه؛ بوصف اللغة ظاهرة متعددة الأبعاد: لسانية، واجتماعية، وسيكولوجية، وغيرها. ومع ذلك، يمكننا الإشارة إلى أهم النقاط التي عالجناها تلخيصًا واستنباطًا، وهي كما يلي:

– إنّ العولمة بشكل عام، والثقافية بخاصة، تعدّ مظهرًا من مظاهر العصر الذي نعيشه، وهي في مجملها تخدم الخطط الداعية إلى الشمولية التي تصبّ في تحقيق الهيمنة بشتى أنواعها... وهي مع ذلك ظاهرة حضارية تحتاج إلى تعامل حكيم، وتفاعل رصين، دون تهور ولا اندفاع، ولا انتهاج لسياسة الهروب إلى الأمام؛ لأنه واقع مفروض، له تجلياته ومؤشراته.

– على رغم من التهافت والتنافس، فإن اللغة العربية محفوظة، باقية بقاء الذكر الحكيم؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وهي – فضلًا عن ذلك – تمتلك من العناصر اللسانية صوتيًّا ونحويًّا وصرفيًّا وتركيبيًّا ودلاليًّا ما يضمن لها الاستقرار والنماء والتجدد، ويمنحها قوّة الاستمرار والبقاء مدى الحياة.

– إن تأثر اللغة العربيّة بالعولمة واضح، وقد مسّ بعض مستوياتها اللسانية، ولن يطال هذا التّأثير النظام والبنية والخصائص الجوهرية، ولا يعد هذا المس انتكاسة ثقافية كما قد يتوهم بعضنا؛ لأنه يأخذ بعدًا يتماشى مع نواميس الكون في مسألة التأثير والتأثر والاحتكاك الإيجابي، الذي يخدم الحضارة والإنسانية جمعاء.

– إن اللغة العربية مرت عبر التاريخ بعدة دورات، ومؤشر ذلك هو مدى الإبداع العلمي الذي شهدته كل فترة من الفترات أو قوة النشاط الترجمي من وإلى

اللغة العربية، الذي نحن في أمس الحاجة إليه تفعيلًا للعربية، من خلال توظيف أنظمتها الدلالية والتركيبية والبلاغية.

– إن احتكاك اللغات أمر مفروض وواقع لا يمكن إنكاره، والانفتاح على اللغات مطلوب، فهو يعمل على التلاقح والتعايش، دون انصهار في الآخر، أو حياد عن مسلك تاريخ الأمة العقدي واللغوي والثقافي، ولا إخلال بنظام الحضارة ونواميس الكون أو أذى الإنسانية.

– إن الدعوة إلى إعلاء كلمة اللغة العربية – لغة القران الكريم – وتطعيمها ضد ما يهدد كيانها ليس معناه نبذ الآخر، أو سد قنوات الحوار والتواصل، فقد سادت في حقب سابقة دون عجز أو قصور، فكانت جسرًا ثقافيًّا وحضاريًّا بين قارّات ثلاث، على اعتبار أنّ مصطلحي "الحضارة" و"الثقافة" شاملان لكل مظاهر الحياة من جهة، ومن جهة أخرى فإن الحوار بهذا المعنى عمل من أجل فهم أعمق ومتطور لهوية كل ثقافة؛ بقصد إبعاد سوء الفهم المولد للكراهية والعداوة، التي يكون مصدرها في كثير من الأحيان الجهل بما لدى الآخر.

المصادر والمراجع

- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد ابن حزم، مطبعة الإمام، د.ط، مصر، دت.
- الألفاظ الدخيلة في معجم البيولوجيا في علوم الأحياء والزراعة الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عبيدي بوعبد الله، مجلة الصوتيات، العدد: ١٠، السنة: ٢٠١١، (ص ص٥١-٧٤).
- تحقيق ما للهند من مقولة معقولة في الذهن أو مرذولة، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، عالم الكتب، بيروت، د.ط، ١٩٨٣.
- التعريب قبل فوات الأوان، عبد العزيز الرفاعي، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، العدد: ٧٣، ١٩٩٣، (ص ص٦٣-٦٥).
- التعريب ووسائل تحقيقه، محمد الفاسي، مجلة الأصالة، العدد: ١٧، ١٨، السنة: ١٩٧٣/ ١٩٧٤، (ص ص١٠٧-١١٨).
- التنوع الثقافي واللغوي في مجتمع المعلومات، علال الإدريسي (المترجِم)، منشورات منظمة اليونيسكو للقمة العالمية حول مجتمع المعلومات، د.ط، ٢٠٠٥.
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع، آدم متز، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، مصر، د.ط، ١٩٩٩.
- الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، د.ط، بيروت، د.ت.
- الداروينية والإنسان، نظرية التطور من العلم إلى العولمة، صلاح عثمان، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط١، ٢٠٠٠.
- دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد، ممدوح محمود منصور، دار الجامعة الجديدة، مصر، ط١، ٢٠٠٣.

– رحلة أبي الريحان البيروني: علم العروض أنموذجًا، عبيدي بوعبد الله، مجلة حوليات جامعة الجزائر، العدد: ٢٢، ٢٠٢١٢، (ص ص١٠٩–١٢٢).

– استخدام طلبة الجامعة اللغة العربية بحروف لاتينية (الإنجليزية وغيرها) في أساليب التواصل الحديثة، هاشم صالح مناع، ضمن المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية حول "اللغة العربية في خطر، الجميع شركاء في حمايتها"، ٢٠١٣، المجلس الدولي للغة العربية، دبي، الإمارات العربية المتحدة.

– شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة: مارون عيسى الخوري، دار صادر، ودار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١٠، ٢٠٠٢.

– الصراع الحضاري في العالم الإسلامي (مدخل تحليلي في فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي)، شايف عكاشة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط٢، ١٩٨٨.

– في تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، ط١، د.ت.

– لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤.

– اللغة العربية خارج حدودها، نيقولا دوبرشان، ضمن: اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٦، (ص ص٩٨–١٣٢).

– اللغة العربية في عصر العولمة، أحمد بن محمد الصبيب، مكتبة العبيكان، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠١.

– اللغة العربية والتحديات، محمد ناهدة محمود، ضمن فعاليات المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية حول "اللغة العربية في خطر، الجميع شركاء في حمايتها"، المجلس الدولي للغة العربية، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٣.

- اللغة والشخصية في حياة الأمم، مولود قاسم نايت بلقاسم، مجلة الأصالة، العدد: ١٧، نوفمبر ١٩٧٣، (ص ص٤٩-٦٩).
- متابعة (حوار)، عز الدين ميهوبي، صحيفة الشروق اليومي، الجزائر، العدد: ٤٣١٤، ١٣/ ٠٣/ ٢٠١٤.
- مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان، ضمن:
(https://www.un.org/ar/observances/mother-language-day)
- معجم مصطلحات عصر العولمة، إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، د.م.
- الموسوعة الإسلامية للعلوم الاجتماعية، صلاح مصطفى الفوال، دار غريب، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٠.
-L'oeuvre d'al-berouni, Boilot.D.j, essai bibliographique de l'institut Dominican d'études orientales, Le Cair, 1955.

***